حكايات من مكّة المكرّمة

الشيخ رضا أستادي

قد وفّقت في المدينة المنوّرة لمطالعة قسم من كتاب «إتحاف الورىٰ بأخبار أُمّ القرىٰ»، لمحمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن فهد القرشي الهاشمي المكّي المشتهر بعمر بن فهد (٨٨٥ ـ ٩١٢هـ) المطبوع بمصر في خمسة مجلدات في سنة (١٤٠٥هـ) واختيار بعض الحكايات والوقائع البديعة منه، وإليك مااخترناه بترتيب السنين الهجريّة القمريّة. قال:

مقام إبراهيم:

سنة ١٧ ـ فيها جاء سيل عظيم فدخل المسجد الحرام، واقتلع مقام إبراهيم وذهب به من موضعه حتّى وجد بأسفل مكّة وعفّى مكانه الذي كان فيه عفّاه السيل، فأتي به فربط بلصق الكعبة بأستارها في وجهها... فدخل عمر بعمرة في شهر رمضان، فقال: أُنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام، فقال المطّلب بن أبي وداعة السهمي: أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك، فقد كنت أخشىٰ عليه هذا، فأخذت قدره من موضعه إلى الركن ومن موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى

زمزم بمقاط وهو عندي في البيت... فأتى بها فمدّها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا اليوم وذلك كان في سنة ثمان عشرة.

وفيها وسّع عمر بن الخطّاب المسجد بدور اشتراها، وهدم على من أبى البيع، وترك ثمنها لأربابها في خزانة الكعبة حتّى أخذوها بعد.

توسعة المسجدالحرام:

سنة ٢٦ـ فيها اعتمر عثمان، وأمر بتوسيع المسجد الحرام، فوسّع بدور اشتراها ودور هدمها على من أبى البيع وترك ثمنها لأربابها في خزانة الكعبة، وأمر بهم فحبسوا وقال: قد فعل ذا بكم عمر فلم تصيحوا به، فكلّمه عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم.

أوّل من خطب ... :

سنة ٤٤ ـ فيها قدم من الشام منبر صغير على ثلاث درجات، فخطب عليه معاوية، وهو أوّل من خطب بمكّة على منبر، وكانت الخلفاء والولاة يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياماً في وجه الكعبة وفي الحجر.

سيل عظيم :

سنة ٨٠ ـ أتىٰ سيل عظيم كان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء مالأحد فيه حيلة ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وبلغ الركن، وخرّب دوراً كثيرة شارعة على الوادي، وقتل الهدم ناساً كثيراً، ورقى الناس الجبال واعتصموا بها...

وفي سنة ٨٤ و ١٨٤ :

وفي سنة ٨٤ وأيضاً ١٨٤ ـ وقع سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وأصاب الناس عقبه مرض شديد في أجسامهم وألسنتهم، أصابهم منه

مثل الخبل...

تفريق الرجال والنساء في الطواف

سنة ٩٣ ـ كان الرجال والنساء يطوفون معاً مختلطين، حتّى ولّي خالد بن عبدالله القسري بمكّة، ففرّق بين الرجال والنساء في الطواف، فأجلس عند كلّ ركن حرساً معهم السياط، فيفرّقون بين الرجال والنساء، وهو أوّل من فرّق بينهما.

لعن الله السياسة الكاذبة

وكان خالد في إمرته على مكّة في زمن الوليد بن عبد الملك يذكر الحجّاج (لأنّه كان سبباً لإمرته على مكّة) في خطبة في كلّ جمعة إذا خطب ويقرّظه، فلما توفّي الوليد وبويع لسليمان بن عبد الملك أقرّ خالداً على مكّة، وكتب إلى عمّاله فأمرهم بلعن الحجّاج بن يوسف، فلمّا أتاه الكتاب قال: كيف أصنع؟ كيف أُكذّب نفسي في هذه الجمعة بذمّه وقد مدحته في الجمعة التي قبلها؟ ما أدري كيف أصنع؟ فلمّا كان يوم الجمعة خطب الناس ثم قال في خطبته:

أمّا بعد أيّها الناس إنّ إبليس كان من ملائكة الله في السماء وكانت الملائكة ترىٰ له فضلاً بما يظهر من طاعة الله وعبادته، وكان الله عزوجل قد اطلع على سريرته، فلما أراد أن يهتكه أمره بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع فلعنه، وإنّ الحجّاج بن يوسف كان يظهر من طاعة الخلفاء ما كنّا نرى له في ذلك فضلاً وكنا نزكّيه وكان الله قد أطلع سليمان أمير المؤمنين من سريرته وخبث مذهبه على ما لم يطلعنا عليه، فلمّا أراد الله تبارك وتعالى هتك ستر الحجّاج أمرنا أمير المؤمنين سليمان بلعنه فالعنوه لعنه الله.

اشتراء الدور التي كانت في المسجد والمسعىٰ

سنة ١٦١ـ فيها اشترى قاضي مكّة بأمر من المهديّ (العبّاسي) جميع ما كان في المسجد والمسعىٰ من الدور، فما كان منها صدقة عزل ثمنه واشترى هو لأهل

الصدقة بثمن دورهم مساكن في فجاج مكة عوضاً من صدقاتهم، فاشترى كلّ ذراع في ذراع مكسراً مما دخل في المسجد بخمسة وعشرين ديناراً، وما فضل من الوادي بخمسة عشر ديناراً....

شهيد الفخ

سنة ١٦٩ ـ فيها قتل الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب الحسني يوم التروية في أزيد من مائة نفر من أصحابه...

آخر حجّ الخلفاء

سنة ١٨٨ ـ فيها حجّ بالناس هارون الرشيد، وهي آخر حجّة حجّها في قول بعضهم، وآخر حجّة حجّها خليفة والى وقتنا هذا. (القرن التاسع).

سيل والمقام والركن

سنة ٢٠٨ ـ فيها في شوّال جاء سيل عظيم والناس غافلون... وأحدق بالكعبة وبلغ الحجر الأسود والباب، وذهب بناس كثير وهدم دوراً كثيرة مشرفة على الوادي، أكثر من ألف دار، ومات نحو ألف إنسان، ورفع المقام من موضعه خوفاً عليه من ذهابه...

سنة ٢٤٠ ـ قال محمّد بن جرير الطبري في سنة ثلاثمائة: كنت في مكّة سنة أربعين ومائتين (وهو شابّ) فرأيت خراسانيّاً ينادي: معاشر الحاجّ من وجد هميناناً فيه ألف دينار فردّه عليّ أضعف الله له الثواب، فقام إليه شيخ من أهل مكّة كبير من موالي جعفر بن محمّد (من الشيعة ظ) فقال: يا خراساني! بلدنا فقير أهله، شديد حاله، أيّامه معدودة ومواسمه منتظرة، لعلّه يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالاً يأخذه ويردّه عليك. قال الخراساني: بابا (كلمة فارسية ظ) وكم يريد؟ قال: العشر مائة دينار فقال: لا بابا ولكن نحيله على الله عزّوجلّ قال وافترقا.

قال محمّد بن جرير: فوقع لي أنّ الشيخ صاحب القريحة هو الواجد للهميان فاتبعته ـ وكان كما ظننت ـ ونزل إلى دار خلقة الباب والمدخل، فسمعته يقول: يالبابة! قالت له: لبّيك يا أبا غياث قال: وجدت صاحب الهميان ينادي عليه مطلقاً فقلت له: قيّده بأن يجعل لواجده العشر فقال: لا والله ولكنّا نحيله على الله فأيّ شيء نعمل؟ ولابدّ لي من ردّه فقالت له لبابة: نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأُختان وأنا وأمّي وأنت تاسع القوم أشبعنا واكسنا ولعلّ الله يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه. فقال لها: لست أفعل ولا أُحرق حشاشتي بعد ستّ وثمانين سنة بالنار.

فلمّا كان من الغد على ساعات من نهار، سمعت الخراساني يقول: معاشر الحاجّ ووفد الله من الحاضر والباد! من وجد هميناً فيه ألف دينار وردّه أضعف الله له الثواب، فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراساني! قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا والله بلد فقير قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك أن تدفع إلىٰ واجده مائة دينار فلعلّه أن يقع بيد من يخاف الله فقلت: لا فالآن أقول لك: هل تدفع لواجده عشرة دينار فيردّه عليك ويكون له في العشرة دنانير ستر وصيانة؟ فقال الخراساني: بابا لا نفعل، ولكن نحيله على الله عزّوجلّ ثمّ افترقا.

قال محمد بن جرير الطبري فلمّا كان من الغد سمعت الخراساني ينادي ذلك النداء بعينه فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراساني! قلت لك أوّل أمس العشر منه وقلت لك أمس عشر عشره فاعطه الآن ديناراً عشر عشر العشر... قال: بابا لا نفعل، ولكن نحيله على الله. قال فجذبه الشيخ وقال له: تعالِ إلى داري خذ هميانك ودعني أنام الليل وأرحنا من محاسبتك وظلمك، فمشى الشيخ وتبعه الخراساني فتبعتهما فدخل الشيخ وقال: ادخل يا خراساني، فدخل ودخلت، فلمّا أخذ الهميان وأراد الخروج من دار الشيخ فلمّا بلغ باب الدار تأمّل أمر الشيخ الخراساني فرجع وقال له: يا شيخ مات أبي رحمه الله وترك ثلاثة آلاف دينار وقال

لي: اخرج ثلثها ففرّقه على من هو أحقّ الناس عندك وتبيع رحلي واجعله نفقة لحجّك ففعلت ذلك، وأخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها في هذا الهميان، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلاً أحقّ به منك، فخذه بارك الله لك فيه ثم ولّى وتركه...

سنة ٢٥٣ ـ جاء سيل إلى مكّة المشرّفة وأحاط بالكعبة وبلغ قريباً من الركن الأسود ورمى بالدور بأسفل مكّة وذهب بأمتعة الناس وخرب منازلهم...

ترك الحجّ للخوف من الظالم

سنة ٣١٢ـ لم يحجّ في هذه السنة أحد..

سنة ٣١٣ـ لم يحجّ أحد في هذه السنة، خوفاً من القرمطي...

سنة ٣١٥ـ فيها لم يحجّ أحد من العراق ولا من خراسان، للخوف من القرمطي.

سنة ٣١٦ـ فيها لم يحجّ أحد من العراق؛ للخوف من القرمطي...

سنة ٣٢٣ـ فيها بطل الحجّ من بغداد؛ لاعتراض القرمطي لهم في الطريق فيما بين القادسيّة والكوفة واستيلائه على أمتعة الناس وأحمالهم...

أخذ المكس (باج) لسفر الحجّ

سنة ٣٢٧ـ كان الحجّ قد بطل من سنة ٣١٧ إلىٰ هذه السنة، فكاتب أبو عليّ عمر بن يحيى العلويّ الفاطمي من العراق أبا طاهر القرمطي، وكان يحبّه لشجاعته وكرمه أن يخلّي سبيل الحاجّ على مكسٍ يأخذه ويعطيه على كلّ جمل خمسة دنانير وعن المحمل سبعة دنانير، فأجابه إلى ذلك فخرج من العراق فرقتان: إحداهما على طريق الكوفة، والأُخرىٰ على طريق البصرة، وأخذ أبو طاهر منهم من كلّ محمل عشرين ديناراً، ومن كلّ جمل خمسة دنانير، ومن كلّ راحلة عشرين درهماً، وهي أوّل سنة مكس الحاجّ فيها، ولم يعهد ذلك في الإسلام فنفذ الحاجّ وليس

معهم أحد من أصحاب السلطان إلاّ رجل علويّ من أهل الكوفة، وهو أبو عليّ عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بكتاب القرمطي إليه وذمامه، وكان أمير القافلة يسيرون بسيره وينزلون بنزوله إلى أن عادوا سالمين.

وكان خرج في هذه السنة مع الركب القاضي أبو عليّ بن أبي هريرة الشافعي، فلمّا طولب بالخفارة ـ اسم مكان ـ لوّى رأس راحلته، ورجع، وقال: لم أرجع شحّاً على الدراهم، ولكن سقط الحجّ بهذا المكس.

الحجر الأسود

سنة ٣٣٩ـ فيها أعاد القرمطي الحجر الأسود في مكانه... وكانت مدة كينونته عند القرامطة اثنين وعشرين سنة إلاّ أربعة أيام...

قصّة تخريب الركن الأسود

سنة ٣٦٣ـ فيها بينما الناس في وقت القيلولة وشدّة الحرّ وما يطوف إلاّ رجل أو رجلان، فإذا رجل... دنا من الركن الأسود ولا يعلم ما يريد (ومعه معول عظيم)، فأخذ المعول وضرب الركن ضربة شديدة، ثمّ رفع يديه ثانياً يريد ضربه، فابتدره رجل من أهل اليمن حين رآه وهو يطوف، فطعنه طعنة عظيمة بالخنجر، حتّى أسقطه، فأقبل الناس من نواحي المسجد فنظروه، فإذا هو رجل روميّ جاء من أرض روم، وقد جعل له مال كثير على ذهاب الركن، وكفى الله شرّه، فأُخرج من المسجد الحرام، فأُحرق في النار...

حجّ يضرب به المثل

سنة ٣٦٦ـ فيها حجّت جميلة بنت الملك ناصر الدولة صاحب الموصل، وكانت حجّاً يضرب به المثل في التجمّل وأفعال الخير كان معها أربعمائة كجاوة، ولم يدر في أيّها هي... وأفردت للرجالة والمنقطعين ثلاثمائة جمل ـ وقيل: خمسمائة ـ

ونثرت على الكعبة حين شاهدتها أو دخلتها عشرة آلاف دينار من ضرب أبيها وما يناب هذا، واعتقت ثلاثمائة عبد وثلاثمائة أمة... وأعطت المجاورين عشرين ألف دينار... وخلفت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب.

نحر رجلين من الأفرنج

سنة ٥٧٨ ـ فيها نحر بمنى ـ كما تنحر البدن ـ رجلان من الإفرنج، وهما من الإفرنج الذين توجّهوا إلى المدينة المنورة.

مزار شهيد الفخّ

سنة ٦٠٥ ـ فيها عمّر السيّد قتادة بن إدريس المشهد الذي به قبر الحسين بن عليّ بن الحسن الحسني صاحب وقعة فخّ، ظاهر مكّة بطريق العمرة.

كان أبو فراس الحلّي ابن أخي الشيخ ورّام أمير الحاج

٦٠٧ـ فيها حجّ بالناس محمّد ولد الأمير مجاهد الدين ياقوت، وكان أبوه قد ولّاه الخليفة خوزستان وجعله هو أمير الحاجّ، ومعه ابن أبي فراس الحلّي؛ لأنّه كان صبيّاً.

سنة ٦١٠ ـ فيها حجّ بالناس أبو فراس بن جعفرٍ بن أبي فراس الحلّي نيابةً عن أمير الحاجّ ابن ياقوت.

سنة ٦١٣ ـ فيها حجّ بالناس حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس، نيابةً عن محمد بن ياقوت خادم أمير المؤمنين. (أي الخليفة).

سنة ٦١٨ ـ فيها حجّ بالناس من العراق حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس ولم يحجّ فيها أحد من بلاد الأعاجم ولا من همذان ولا إصفهان؛ لخوف الطرق من انتشار التتار الكفرة في البلاد وما يليها.

سنة ٦١٠ و ٦٢١ـ فيها حجّ بالناس ابن أبي فراس.

موت جماعة من الحاجّ من الزحام في المسعى

سنة ٦١٩ ـ فيها مات بالمسعى جماعة من الزحام؛ لكثرة الخلق، حجّوا في هذه السنة من العراق والشام.

فرار أمير الحاجّ

سنة ٦٢٢ ـ فيها هرب أمير الحاجّ العراقي حسام الدين أبو فراس الحلّي، وهو ابن أخي الشيخ ورّام، وكان عمّه من الصالحين الأخيار من أهل الحلّة السيفيّة، فارق الحاجّ من مكّة والمدينة وسار إلى مصر، وحمله على ذلك الضائقة وكثرة الخرج في الطريق وعدم الدخل، ولما فارق الحاجّ خافوا خوفاً شديداً فأمّن الله تعالى خوفهم ولم يذعرهم ذاعر في جميع الطريق، ودخلوا آمنين إلّا أنّ كثيراً من الجمال هلكت وفنيت منهم، ولم يسلم منها إلّا قليل.

مولد جعفر

سنة ٦٢٣ ـ فيها في صفر عمّر بعض المجاورين مولد (جعفر) الصادق رضي الله عنه.

مولد علي عليه السلام

سنة ٦٢٥ ـ فيها عمّر الخليفة المستنصر العباسي... مولد سيّدنا عليّ بن أبي طالب.

ترك الحج من العراق

سنة ٦٣٤ ـ فيها لم يحجّ العراقيون بسبب أنّ التتار قصدوا بغداد، فجمع المستنصر العلماء فسألهم في ترك الحج فأفتوه بذلك، وبطل الحج، وجمع مائة ألف فارس للمرابطة ببغداد إلى أن تمّ أمر الله في تفرقتهم.

سنة ٦٤٠ ـ فيها حجّ الحاجّ العراقي بعد أن أقام سبع سنين لم يحجّ.

سنة ٦٥٠ـ فيها حجّ الناس من بغداد بعد عشر سنين بطل الحجّ فيها منذ مات المستنصر إلىٰ هذه السنة (قاله سبط بن الجوزي في مرآته).

سنة ٦٦٦ ـ توجّه الحاجّ العراقيون من بغداد إلى مكة، وهي أوّل سنة حجّوا فيها بعد غلبة التتار على بغداد في سنة خمس وخمسين.

مولد الرسول صلى الله عليه وآله

سنة ٦٦٦ ـ فيها عمّر المظفر مولد الرسول صلى الله عليه وآله.

ألف جنازة

سنة ٦٧١ ـ فيها كان بمكّة فناء عظيم.. وعدّ أهل مكّة ما بين العمرتين من أوّل الرجب إلى السابع والعشرين منه ألف جنازة.

كثرة الحاجّ

سنة ٦٧٧ ـ فيها كان الحاجّ المصري أربعين ألفاً، سوى الشامي والعراقي.

العروة الوثقى المصنوعة

سنة ٧٠١ـ فيها أزيلت البدعة التي كانت بالكعبة الشريفة يقال لها: «العروة الوثقى»، وهي أنّ بعض الفجرة المحتالين عمدوا إلى موضع عالٍ من جدار البيت المقابل لباب البيت، فسمّوه بالعروة الوثقى، وأوقعوا في قلوب العامّة أنّ من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ، فأحوجوهم إلى أن يقاسوا في الوصول إليها شدّة، وعلى أن يركب بعضهم فوق بعض، وربما صعد النساء فوق الرجال ولامسوا الرجال ولامسوهنّ، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر ـ دنياً ودين ـ وسبب ذلك أنّ الصاحب زين الدين أحمد بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن حِنّا (م ٧٠٤) قدم إلى مكة في أثناء هذه السنة، فرأى هذه البدعة، فأمر بقلع ذلك المثال، وأُزيلت تلك البدعة، ولله المنّة.

حيّ على خير العمل

سنة ٧٠٢ ـ فيها سُعِيَ عند الملك الناصر صاحب مصر بأنّ بمكة المشرّفة جملة من البدع، منها الأذان بحيّ على خير العمل، ومنها إمام زيديّ بالمسجد الحرام، ومنها بعض الفجرة جاؤوا إلى موضع عالٍ من جدار الكعبة المقابل لباب البيت فسمّوه بالعروة الوثقىٰ وأوقعوا في نفوس العامّة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ، فكتب صاحب مصر صحبة أمير الركب بأمر الأشراف أُمراء مكة ألّا يمكّنوا من الأذان بحيّ على خير العمل، ولا يتقدم في الحرم إمام زيديّ، وألّا يهبط الحاج حتىٰ ينقضوا ما كان في الكعبة ممّا سمّوه العروة الوثقى، ولا يمكن أحد من مسّ المسمار الذي في الكعبة الذي يقال له: «سرّة الدنيا». وكان

يحصل من التعلّق بالعروة ومن التسلّق إلى المسمار عدّة مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله، وقد تقدم في السنة قبلها إزالة العروة.

إمام الزيديّة

وإمام الزيدية المشار إليه رجل شريف، كان يصلّي بالزيدية بين الركنين اليماني وحجر الأسود فإذا (كان) صلّىٰ صلاة الصبح دعا بدعاء مبتدع وجهر به صوته وهو: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل بيته المصطفين الأطهار المنتخبين الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللّهم انصر الحقّ والمحقّين واخذل الباطل والمبطلين ببقاء ظلّ أمير المؤمنين ترجمان البيان وكاشف علوم القرآن الإمام محمّد بن المطهّر بن يحيىٰ بن رسول الله ﷺ الذي بالدين أحيا إمام المتقين وحجاب الضالين، اللّهم انصره وشعشع أنواره واقتل حسّاده، واكبب أضداده ـ مع زيادات على هذا ـ وكان إذا صلّىٰ صلاة المغرب دعا أيضاً بهذا الدعاء وجهر به صوته في هاتين الصلاتين.

الاختلاف في رؤية الهلال

سنة ٧٢٥ ـ فيها وصل عسكر من مصر متوجّهاً إلى اليمن... وعند وصولهم خرج إمام الزيدية من مكّة وأقام بوادي مرّ، وما رجع إليها إلى وقت الحاجّ وعاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله.

وفيها (٧٢٥) وقف الناس بعرفة يومين: السبت والأحد؛ لاختلافٍ في هلال ذي الحجّة، وكان الركب المصري قليلاً والعراقي كثيراً.

خدابنده ملك التتار

سنة ٧٢٦ـ فيها لحق الشريف حميضة بن أبي نما الحسني بخدابنده ملك التتار، وأقام ببلاده أشهراً وطلب منه جيشاً يغزو به مكّة، وساعده جماعة من الرافضة على ذلك، وجهّزوا له جمعاً من خراسان، وكانوا مهتمّين بذلك، وكان مقدّمهم

درقندي ـ وقيل: دقلندي ـ وهو رافضي من أعيان دولة التتار، وكان قد قام بنصر الشريف حميضة، وجمع له من الأموال والرجال على أن يأخذ له مكّة ويقيمه بها، وأنّهم ينقلون الشيخين: أبا بكر وعمر من جوار النبي ﷺ، ثمّ إنّ الأمير محمّد بن عيسى... قاتلهم ونهبهم وكسب العسكر منهم أموالاً عظيمة من الذهب والدراهم...

عدم الحجّ من العراق سنين كثيرة

سنة ٧٣٦ ـ فيها لم يحجّ العراقيّون؛ لموت سلطانهم أبي سعيد بن خدابنده، واختلاف الكلمة بعده، ودام انقطاعهم سنين كثيرة.

الاختلاف في رؤية الهلال ونزاع الفقهاء والقضاة

سنة ٧٤٧ـ وفيها كانت الوقفة الجمعة؛ لأنّه ثبت ذلك عند قاضي مكّة بحضور قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة وغيره من حجّاج مصر والشام والعراق، وكان يوم عرفة بمصر والاسكندرية يوم الخميس، فأنكر الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركماني الحنفي على القاضي عزّ الدين بن جماعة، وأفتى أنّ حجّ الناس فاسد ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحاج من الأموال، وأنّه يجب على الحجاج كلّهم أن يقيموا محرمين لايطؤوا نساءهم، ولا يمسّوا طيباً، حتى يقفوا بعرفة مرّة أخرى، وشنّع بذلك عند الأمراء، فشقّ ذلك على الأمير من أجل أنّ زوجته حجّت فيمن حجّ... فغضب الشافعية وأنكروا مقالته وردّوها، وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلساً في ذلك ويطلب التركماني ويدّعى عليه بما أفتى به، مما لا يوجد في كتب الحنفية، فرجّعه الناس عن ذلك مخافة الشناعة.

سنة ٧٤٨ ـ فيها حجّ الركب العراقي بعد انقطاعه عن الحج إحدى عشرة سنة، وكان الحجاج كثيراً من العراق بخلاف مصر والشام.

استتابة إمام الزيدية

سنة ٧٥٥ـ فيها في رمضان عقد لكبير الزيديّة أبي القاسم بن محمّد بن حسين بن الشُقيف مجلسٌ بحضرة القاضي عزّ الدين بن جماعة واستتيب فيه، وكتب خطّه أنّه يبرأ إلى الله عزّوجلّ من اعتقاد أهل البدع من الزيديّة والإماميّة وغيرها، وأنّه يواظب على الجمعة والجماعة، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة المطهّرة، وذلك بعد سؤاله لأهل السنّة وخضوعه لهم، وكان سبب ذلك خوفاً حصل له من ضرب الأمير عمر شاه لعليّ مؤذّن الزيدية حتى مات في موسم السنة التي قبلها.

وفيها حضر أبو القاسم محمّد بن أحمد اليمني إمام الزيدية المطلوب في السنة الخالية إلى قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة، تائباً مما كان عليه من مذهب الزيدية، فعقد له مجلس بالحرم، حضره أمير الركب وعامّة أهل مصر ومكّة، وأشهدهم أنه رجع عن مذهب الزيدية وتبرأ إلى الله من إباحة دماء الشافعية وأموالهم، وأنّه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة وكتب خطه بذلك.

الاختلاف في رؤية الهلال

سنة ٧٥٧ـ فيها وقف الناس بعرفة يومين.

وفيها حجّ بعض العجم، وتصدّق بذهب كثير في الحرمين على أهلها.

تيمور لنگ

سنة ٨٠٣ ـ فيها لم يحجّ أحد من الشام على طريقتهم المعتادة لخرابها، ولما أصاب أهل دمشق من القتل والعذاب والأسر وإحراق دمشق بعد أن صودر أهلها وكانوا مسلمين البلاد بأمان، والفاعل لذلك أصحاب تيمورلنگ صاحب الشرق، ودام انقطاع الحجاج الشاميّين من هذا الطريق سنين ثمّ حجّوا.

مزار شهيد الفخّ

سنة ٨٠٥ ـ فيها في صفر عمّر السيّد حسن بن عجلان المشهد الذي به قبر الحسين بن عليّ بن الحسن الحسني بفخّ ظاهر مكّة بطريق التنعيم.

وفيها لم يحجّ أحد من الشام ولا العراق ولا اليمن.

صلاة المغرب والأئمّة الأربعة

سنة ٨١١ ـ فيها في الموسم أبطل الناصر فرج صلاة المالكي والحنبلي والحنفي في صلاة المغرب؛ لأنّهم كانوا يصلّونها في وقت واحد، وبسبب اجتماعهم في هذه الصلاة يحصل للمكيّين لبس كثير بسبب التباس أصوات المبلّغين واختلاف حركات المصلّين، وهذا الفعل ضلال في الدين، وصار الشافعي يصلي بمفرده الناس المغرب، واستمرّ إلى موسم سنة ٨١٦.

الاختلاف في رؤية الهلال

سنة ٨١٣ـ وقف الناس بعرفة يومين؛ لاختلافٍ وقع في تاريخ أوّل الشهر، وأوقفت المحامل في اليوم الأوّل يوم التروية على مقتضى رؤية أهل مكّة بعرفة على العادة، ونفروا بها وقت النفر الأوّل المعتاد إلى قرب العلمين، ثمّ ردّت إلىٰ مواضعها.

عدم الحج من العراق سنين

سنة ٨١٣ ـ فيها لم يحجّ أحد من العراق، لأنّ فيها ـ على ما يقال ـ قتل صاحب بغداد أحمد بن أويس... ودام انقطاع الحجّاج بمحمل بغداد سنين بعد هذه.

من شيراز

سنة ٨١٤ ـ فيها لم يحجّ العراقيون، وحجّ من العراق ناسٌ قليل من شيراز وغيرها على طريق الحسا (الأحساء) والقطيف..

سنة ٨١٥ ـ فيها أيضاً لم يحجّ ركب العراق وحجّ ناس من العراق من شيراز وغيرها على طريق الحسا (الأحساء) والقطيف.

الجمل والحجر الأسود

سنة ٨١٥ ـ فيها قيل في جمادى الآخرة: كان جملٌ لرجل وكان يكلّف فوق طاقته فلمّا كان يوماً هرب إلى المسجد الحرام ودخله ولم يزل يطوف بالبيت حتّى كمل له ثلاثة أسابيع مع أنّ الناس يريدون إمساكه وإخراجه من المسجد فما قدروا على ذلك، وكان إذا دنا منه شخص دقّه وغلبه، فلمّا قضى الثلاثة الأسابيع، قال الناس بعضهم لبعض: اتركوه، فتركوه فجاء إلى الحجر الاسود فقبّله ساعة، ثمّ راح إلى عند مقام الحنفية تجاه الميزاب فبرك عنده، ثمّ بكىٰ ساعة وألقى نفسه على الأرض، فمات فحمل إلى ما بين الصفا والمروة.

اختلاف كثير في رؤية الهلال

سنة ٨١٧ ـ فيها حصل اختلاف كثير في تعيين الوقفة؛ لأنّ جمعاً كثيراً من القادمين إلى مكّة في البرّ والبحر وبعض من بمكّة المشرّفة ذكروا أنّهم رأوا الهلال لذي الحجّة ليلة الإثنين، ولم ير ذلك أهل مكّة ولا غالب الركب المصري، فوقع الاتّفاق على أنّ الناس يخرجون إلى عرفة في بكرة يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجّة على مقتضى قول من قال: إنّه رأى بالاثنين، وأن يقيموا بعرفة ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء، ففعل ذلك، وسار معظم الحاجّ إلى عرفة بعد طلوع الشمس من غير نزولٍ بمنى، فبلغوها بعد دخول وقت العصر، فتخلّف غالب المكّيين وأهل اليمن بمكّة إلى وقت الظهر، وتوجّهوا إلى عرفة من غير نزولٍ بمنى... فوصلوا إلى عرفة وأقاموا بها ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء إلى الغروب، ونفروا مع الحجّاج إلى المزدلفة، وباتوا بها إلى قرب الفجر، ثمّ رحلوا إلى منىٰ بعد رحيل المحامل، والمعهود أنّها لا ترحل إلّا بعد الفجر، وكذا غالب الناس ففاتتهم الفضيلة... وانتهوا إلى منىٰ في بكرة يوم الخميس...

مطر عظيم

سنة ٨٢٥ ـ فيها في آخر ليلة السبت سابع عشر ذي الحجّة وقع مطر عظيم بقوّة عظيمة، فلمّا كان وقت صلاة الصبح صلّى الإمام الشافعي بالناس أمام زيادة دار الندوة بالجانب الشامي من المسجد الحرام؛ لتعذّر الصلاة عليه بمقام إبراهيم وما يليه هنالك... وصار المسجد الحرام مغموراً بالماء الكثير المرتفع نحو قامته بحيث قارب عتبة باب الكعبة... وما مات فيه أحد فيما علمناه، ولكن مات في هذه الليلة أربعة نفر بمكان بأسفل مكّة بصاعقة وقعت عليهم هناك...

وباء عظيم

٨٢٧ ـ فيها كان وباء عظيم عامّ دام أشهراً لعلّ الموتى فيه ممن يعرف اسمه ومكانه يزيدون على ألفين أو يقاربون ذلك، وكان كثيراً ما يجمع من الجنائز عقيب صلاة الصبح أو العصر سبع أو أكثر، وكان يموت في كثير من الأيّام بضع وعشرون في كلّ يوم أو أكثر، غير الموتى الذين يؤتىٰ بهم من بادية مكّة إليها، وكان ابتداء كثرة الموتىٰ بهذا الفصل يوم الثامن من صفر.

الحج من مشهد علي عليه السلام

سنة ٨٣١ ـ فيها حجّ محمل من العراق ومعه ركب قليل، أربعمائة جمل تحمل الحاجّ من مشهد عليّ، والمجهّز له سلطان الحلّة حسين بن عليّ بن السلطان أحمد بن أُويس، بعد أن انقطع محمل العراق قبل هذه السنة مدّةً تزيد على عشر سنين..

سنة ٨٣٢ ـ فيها في ليلة عاشوراء وجدت نجاسة في مقام إبراهيم ـ إمّا عذرة أو خرا ـ فغسّل المقام ونظّف وطيّب [1].

---

(١) روى السنجاري في حوادث سنة ١٠٨٧ أنّه لما كان يوم الخميس ثامن شوّال من السنة المذكورة أصبح الناس فإذا الكعبة المشرّفة ملطّخة بعذرة أو بأشبه العذرة عن جميع جوانبها، وكذلك الحجر الأسود والركن اليماني، فاتّهم بهذا الفعل الشيعة، فاشتدّت حمية الأتراك المجاورين، فأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس، وأوقعوا فيهم الضرب والرجم بالحجارة، ثمّ الضرب بالسيوف، وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد.

الموت من الحرّ والعطش

سنة ٨٣٣ ـ فيها أصاب الحاجّ في قدومهم بين الإزلم وينبع (في طريق المصري إلى الحجّ) شدّةً عظيمة من الحرّ والعطش، مات فيها ثلاثة آلاف نفس، ويقال: خمسة آلاف.

موت نحو الألف

سنة ٨٣٤ ـ فيها في يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة، وصلت الرجبية إلى مكّة المشرفة في جماعة كثيرة ممن يريد الحج والعمرة، منهم شيخنا العلامة تقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي رحمه الله، وكانت عدّة أحمالهم نحو ألف وخمسمائة حمل، ومقدّمهم سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدّة، فوجدوا ما بين الوجه وأُكرة (هما في طريق المصري الى الحجّ) عدة موتىٰ ما بين رجال ونساء ممن هلك بالعطش من الحاجّ، فدفن منهم نحو الألف.

مولد جعفر عليه السلام

سنة ٨٣٥ ـ فيها في جمادى الآخرة عمّر الخواجا جمال الدين محمّد بن عليّ الرومي مولد جعفر الصادق (الصحيح جعفر بن أبي طالب) بدار أبي سعيد.

السيل العظيم

سنة ٨٣٧ ـ فيها في ليلة الجمعة سادس عشر جمادى الأُولىٰ حصل مطر قويّ سالت منه الأودية... فداخل المسجد الحرام صار الماء بحراً إلى عتبة باب إبراهيم... وتهدم في هذه الليلة دور كثيرة فقول الكثر ألف وزيادة ومات تحت الردم إثنا عشر إنساناً وغرق ثمانية أنفس ودلف (أي انصبّ منه الماء) سقف الكعبة، فابتلّت الكسوة التي بداخلها وامتلأت القناديل التي بها.

وحدث عقيب هذا السيل بمكّة وأوديتها وبأطراف اليمن وباءٌ واشتعل الوباء في شعبان حتّى بلغ بمكّة في اليوم عدّة من يموت خمسين.

الاختلاف في رؤية الهلال

سنة ٨٥٠ ـ فيها وقع الاختلاف في الوقفة، شهد شخص من المغاربة ـ ذكر أنّه من أهل العلم والدين وزكّي ـ أنّه رأى الهلال لذي الحجّة ليلة الخميس، وقال القاضي كاتب السرّ أنّ اخته ـ زوجة الملك الظاهر ـ رأت الهلال ليلة الخميس، فقال القاضي الشافعي لكاتب السرّ: ينبغي أن تتوجّهوا من مكّة صبح يوم الجمعة، ولا تبيتوا بمنىٰ ليلة السبت، بل تكونوا ليلة السبت بعرفة فامتنع من ذلك وقال: لا يسعني ذلك أبداً، ثمّ لمّا وصل الركب الشامي ذكروا أنّ قاضي محملهم ثبت عنده بشهادة من يثق به أنه رأى هلال ذي الحجّة ليلة الخميس، فوقف الناس يوم الجمعة ولم تطمئن قلوب غالب الناس بالوقوف يوم الجمعة. والله أكرم من أن يردّ هذا الوفد العظيم خائبين.

الوقوف يومان

سنة ٨٥٩ ـ فيها وقف الناس بعرفة يومين، لاختلافٍ وقع في تاريخ الشهر وأوقفت المحامل في اليوم الأوّل يوم الأربعاء يوم التروية على مقتضى رؤية أهل مكة بعرفة على العادة، ونفروا بها وقت النفر المعتاد إلى مواضعها، وباتوا بعرفة وأقاموا بها يوم الخميس، ووقفوا بها عصر يوم الخميس ونفروا.

الحجّ بعد سبعة عشرة سنة

سنة ٨٧١ ـ فيها حجّ العراقيون بمحمل على العادة بعد انقطاعهم سبع عشرة سنة وكان وصولهم من المدينة الشريفة وقدومهم إلى مكّة في اليوم السابع من ذي الحجة، وعادوا إلى المدينة أيضاً.

السيد تاج الدين

سنة ٨٧٥ ـ فيها مات السيّد تاج الدين عبد الوهّاب بن عمر بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن حمزة بن محمّد بن ناصر بن علي بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الحسيني الدمشقي، في عصر يوم الأحد ثاني جمادى الأُولىٰ، وصلّي عليه صبح يوم الإثنين ودفن بالمعلاة. (راجع الضوء اللامع ٥: ١٠٦).

العمرة الرجبية

سنة ٨٤٨ ـ فيها لمّا كان في ظهر يوم الإثنين تاسع عشر شعبان، وصل السيّد أبو القاسم من وادي الآبار إلى مكّة المشرّفة، ووصل معه قاصده الشريف صعيب الينبعي، وأخبر أنّ الرجبية كبيرة أربعة آلاف جمل، وهي ركبان، مقدّمها الأمير كُزُل المعلم أمير الترك بمكّة...

شابّ من التركمان

سنة ٨٥٠ ـ فيها حجّ محمل من بغداد في هيئة عظيمة... في ركبٍ نحو ألف راحلة (إبل أو غيرها)، لم يكن فيها كجاوة ولا محارة (صندوق كالهودج)، وأميرهم شخص شاب من التركمان المغل يسمّى جعفراً، وكانوا لما وصلوا ركبة (بين مكة والطائف) خرج عليهم عرب يسمّون: مطير، في مائة وخمسين فارساً ونحو ألفي راجل، أرادوا أخذ الحاجّ فجادلهم الأمير، وكان في نحو خمسمائة، فظهر

من الأمير شجاعة عظيمة ظهر بها أنّه من فرسان الإسلام فنصرهم الله على العرب وردّ كيدهم في نحورهم.

طاعون في جدة

سنة ٨٨٢ ـ في أوائلها وقع بجدّة ـ ساحل مكّة ـ طاعون، مات به جماعة كثيرة من أهلها، حتّى غلقت أبواب كثيرة، وكان يصلّى في بعض الأيّام على الستين ميّتاً في الجامع، وبلغ عدّة من يموت في كلّ يوم مائة وأكثر.

أيضاً الاختلاف في رؤية الهلال

سنة ٨٨٣ ـ فيها في يوم الخميس سابع ذي الحجّة اجتمع الشريف والقضاة عند أمير الحاجّ المصري مرتين؛ بسبب رؤية هلال ذي الحجّة ما هو؟ أو متى تكون الوقفة؟ وزعم أمير الحاجّ وبعض الجهّال أنّ بعض الشاميين رآه ليلة الخميس فتكون الوقفة الجمعة وأهل مكّة يقولون: إنّه لم يره بمكّة أحد ليلة الجمعة، لكن رؤي في بعض الآفاق، فتكون الوقفة السبت ـ وكان من كلام الغرباء في غير المجلس أنّ أهل مكّة لا يحبّون وقفة الجمعة فإنّ الغلاء عندهم بل ويغرم السلطان... قاتلهم الله فإنّ هذا افتراء لا يعرف ـ وانفضوا في المرّة الأُولىٰ من عند أمير الحاجّ من غير فصل، وفي المجلس الثاني رسم أمير الحاجّ أن يقفوا مرّتين: يوم الجمعة ويوم السبت، ويتوجّه الناس منه إلى يوم الخميس، فتوجّه كثير من الناس يوم الخميس، وبعضهم يوم الجمعة، وخطب الخطيب بمكّة يوم الجمعة ولم يكن بها إلّا أُناس قليل ووقف من حضر الموقف يوم الجمعة ويوم السبت مرّتين، كما رسم أمير الحاج، فلا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.